خواطر وسوانح وعبر

في إحياء ذكرى مستشرق

الدكتور حسني سبح

احتفل علماء المشرقيات،[1] وبخاصة الفرنسيون منهم في الربع الأخير من العام الماضي (١٩٨٣) بالعيد المئوي لولادة لويس ماسنيون - كبير مستعربي هذا القرن بلا منازع - الذي دأب طوال ستة عقود ونيف في البحث والدراسة والتنقيب والمحاضرة عن الكثير من شؤون بلاد العرب والمسلمين ، وطاف أكثرها مرات حتى كان من نتاج أعماله هذه اخراج زهاء ٦٠٠ منشور مابين مصنفات في مجلدات وكتب ورسائل ومقالات في المجلات والصحف وبحوث في الموسوعة الاسلامية ، عدا مالم يُتح له أن يطبع من محاضرات[2] حاضرها في كوليج دوفرنس[3] حيث شغل كرسي (علم الاجتماع الإسلامي) أكثر من ثلاثين سنة (١٩١٩ - ١٩٥٤)

وأكثر صلات ماسنيون كانت مع مصر والمغرب العربي باقطاره الثلاثة والعراق من بلاد العروبة . هذا مااكتفى بالاشارة إليه في سرد سيرته ، محاضرو ندوة باريز في الاحتفال بالعيد المئوي المذكور ، أما بلاد الشام ولاسيا دمشق ، فلم يتطرق أحد إلى ماكان له من الصلة ببعض رجالاتها ، ولا إلى ضلوعه في السياسة التي سارت عليها فرنسة في الشام إبان الانتداب الفرنسي عليها بحكم عمله في وزارة الخارجية الفرنسية ثم كونه بين مستشارى المفوضية الفرنسية العليا . وهذا ما أريد أن آتي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بلمحة عنه وشرح ما بَعُد العهد به من أمور لها شأنها قبل وصف الاحتفال بالعيد المئوي لمولد المستشرق المذكور .

فمن هو لويس ماسنيون أولاً ؟

ولد لويس ماسنيون في إحدى ضواحي باريز سنة ١٨٨٣ ، وأنهى دراسته الثانوية بحصوله على البكالوريا بفرع الآداب والفلسفة سنة ١٩٠٠ ، وفي فرع الرياضيات سنة ١٩٠١ ، وزار بعدها الجزائر زيارة قصيرة (وهذه هي الاولى من رحلاته) ثم شرع في الدراسات العليا بنواله الاجازة (ليسنس) في الآداب سنة ١٩٠٢ . وبدت له رغبة في دراسة بعض الشؤون الاسلامية ، فاختار موضوعاً في الحوز على الشهادة العليا (دبلوم) دراسة ليون الأفريقي[٤] مما حمله على السفر الى مراكش سنة ١٩٠٤ ثم عاد إلى الجزائر ونشر ماتوصل إليه من بحث واستقصاء في كتاب طبع في الجزائر سنة ١٩٠٦ ونال اعجاب المارشال ليوتي[٥] الذي لم يلبث أن اطلع عليه صديقه الأب فوكول المعروف بناسك الصحراء[٦] ومنه توثقت أواصر الصلة بين هذا المبشر الكاثوليكي وبين لويس ماسنيون فتلاقيا وتراسلا ردحا من الزمن .

واشترك لويس ماسنيون عام ١٩٠٥ في المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين الذي عقد في الجزائر حيث التقى ببعض هؤلاء ومن بينهم المستشرق المجرى الشهير غولد صِهر[٧] .

وحصل لويس ماسنيون سنة ١٩٠٦ على الشهادة العليا في اللغة العربية الفصحى والعامية من مدرسة اللغات الشرقية[٨] .

أما في سنة ١٩٠٧ فقد عين لويس ماسنيون عضواً في المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة[٩] فأقام فيها قرابة عام يحفر وينقب ويراقب ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكلفته الحكومة الفرنسية بعد ذلك بالسفر إلى العراق للقيام ببحوث في الآثار الاسلامية فحل في بغداد ضيفاً على عالم العراق الشهير الاستاذ محمود شكري الآلوسي الذي كما قيل اطلعه على روح الدين الاسلامي واستفاد منه ومن ابن عمه السيد علي فوائد جلى[١٠] ، ولاسرة الآلوسي فضل كبير في المساعي المبذولة لانقاذ حياة ماسنيون من القتل عندما ألقى رجال الأمن الاتراك القبض عليه عند اجتيازه نهر دجلة سنة ١٩٠٨ باحثاً في خرائب بادية العراق مكتشفاً قصر بني لخم المسمى بالسدير في الأخيضر غرب كربلاء ، كما انه زار مشاهد الشيعة كلها ماراً بكربلاء والنجف والكوفة وتم له اكتشاف شخصية الحلاج[١١] مستقصياً أمره عاداً إياه من شهداء التصوف في الاسلام وظل شغله الشاغل سنين عديدة ، وتقدم سنة ١٩٢٢ إلى الصربون[١٢] باطروحته الشهيرة باسم (محنة الحلاج (La passion d´ Al - Hallaje) . عاد من العراق عن طريق دمشق والتقى فيها بكل من الشيخين الجليلين طاهر الجزائري[١٣] وجمال الدين القاسمي[١٤] وسافر إلى استانبول عاصمة الخلافة الاسلامية للاطلاع على مافيها من التراث الاسلامي النفيس وزار دور الكتب باحثاً في مخطوطاتها .

وقصد القاهرة في العام نفسه فانتسب طالباً في الأزهر وارتدى رداء الطلاب الأزهريين معتمراً بالعمامة والطربوش ، وكان قد سبقه إلى مثل ذلك إليه المستشرق اليهودي اغناس كولد صهر الذي تقدم ذكره .

ودعي إلى التدريس في الجامعة المصرية القديمة[١٥] سنة ١٩١٢ ـ ١٩١٣ فألقى فيها أربعين محاضرة بعنوان (محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما إن اندلعت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) حتى أستدعي ماسنيون إلى الخدمة العسكرية ، فألحق أولاً بمصلحة الصحافة في وزارة الشؤون الخارجية ثم أرسل سنة ١٩١٥ وبناء على طلبه الى الجبهات الشرقية للحرب (دردنيل ومكدونية وصربية) برتبة ضابط في فرقة المشاة ، واشترك ببعض المعارك (ليعرف تأثير الحرب في الأرواح وأن روح المرء لاتغلو لقاء مصلحة وطنه)[١٦] وسافر سنة ١٩١٧ إلى الحجاز وإلى القاهرة بمهمة سياسية[١٧] ووُضع في آذار سنة ١٩١٧ تحت تصرف وزارة الخارجية الفرنسية بصفة ضابط ملحق بمكتب المفوض السامي الفرنسي لسورية وكيليكية[١٨] وهو جورج بيكو[١٩] ودخل القدس في ١١ كانون الأول سنة ١٩١٧ بصحبة المفوض السامي المذكور والجنرال اللنبي ولورنس[٢٠] .

وعهدت إليه وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية في كانون الأول سنة ١٩١٩ وضع نظام أساسي سوري بالاتفاق مع الأمير فيصل بن الحسين[٢١] من أجل تأسيس مملكة سورية ، ودأب على العمل في هذا الشان قرابة ستة أشهر ، إلا أنه لم يسفر عن شيء[٢٢]

ويعود ماسنيون إلى سابق حياته الجامعية بعد أن انقطع عنها ست سنوات (من ١٩١٤ = ١٩٢٠) لم يظهر له خلالها أثر علمي ، فكانت فجوة بيّنة في سلسلة ماألفه[٢٣]

وينتخب سنة ١٩٢٠ (جلسة ١٢ تشرين الأول) عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق (بعد أن تأسس سنة ١٩١٩) وتبدأ المراسلة بينه وبين رئيس المجمع الأستاذ كرد علي بشتى شؤون التراث .

ويتولى تدريس (علم الاجتماع الاسلامي) بعد عودته إلى كوليج دوفرنس سنة ١٩٢٠ بصفته نائب أستاذ حتى ١٩٢٧ ثم يصبح أستاذاً أصيلاً في الكرسي نفسه حتى ١٩٥٤ . ولا يقتصر عمله الجامعي على هذا فحسب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بل يتصدى للعمل في أعمال دراسية أخرى : فهو المؤسس لمعهد الدراسات الاسلامية (١٩٢٧) ومدير الدراسات العليا في المدرسة التطبيقية (E'cole pratique) والأستاذ في معهد الدراسات السياسية ، وفي المدرسة الفرنسية لما وراء البحار ، ورئيس لجنة فحص مدرسي اللغة العربية (١٩٤٦ـ ١٩٥٤) ورئيس الدراسات الإيرانية ، وعضو في عدة جمعيات علمية .

ولما تكوّن مجمع اللغة العربية الملكي في القاهرة سنة ١٩٣٣ كان في عداد أعضائه المؤسسين[٢٤] ، ثم أصبح عضواً مراسلاً فيه بعد تعديل نظامه الأساسي سنة ١٩٥٧ وظل يشهد مؤتمر المجمع السنوي كل عام ولم يتخلف عن الحضور إلا مرة واحدة لظرف قاهر .

وإلى جانب مجمعي دمشق والقاهرة ثم بغداد ، فقد كان ماسنيون عضواً في عدة مجامع أخرى منها : طهران وبلجيكة وهولندة ودانمرك وسويدوروسية ، يراسلها ويبعث بآرائه وبحوثه إليها من حين إلى آخر.

وعهدت إليه دائرة المعارف الاسلامية بالكتابة في الشؤون الاسلامية وبالفرق الاسلامية ولاسيما مايختص بالشيعة وما تفرع عنها ، فكتب فيها المواد : القرامطة ، الخرّاز ، الكندي ، ليون الأفريقي ، معروف الرصافي ، المحاسبي ، النوبختي ، نوبخت ، نور محمدي ، نصيري ، سهل التستري ، السالمية ، السنوسية ، شطح ، الششتري ، السري السقطي ، طريقة ، تصوف ، ترمذي ، أخيضر ، الوراق ، ورد ، زنج ، زنديق ، زهد وغيره .

وكان لـ « مجلة العالم الاسلامي » التي صار اسمها بعد ذلك « مجلة الدراسات الاسلامية » نصيب كبير في نشر طائفة من بحوثه وتحقيقاته العلمية والادبية طوال ربع قرن أو أزيد ، وكان قد تولى ادارتها منذ سنة ١٩٢٧م.

كما انه كان يراسل عدة مجلات وصحف علمية تعنى بالمشرقيات على اختلاف لغاتها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتب ماسنيون بالفرنسية بوجه عام ، ونشر بعض بحوثه وآرائه بلغات أخرى كالعربية والفارسية والانكليزية والألمانية ، إذ كان يحسن الكتابة بالكثير من هذه اللغات فضلاً عن معرفته لبعض اللغات القديمة كاللاتينية التي كان يتقنها كما قيل حق الاتقان ثم اليونانية ، وله المام بالتركية والسنسكريتية والعبرية .

وتمتاز بحوثه بالتعمق فهو لايكتفي بالنظر إلى الشؤون التي يعالجها نظرة سطحية ظاهرة بل يجوز الظواهر لينفذ إلى ماخفي منها ، ولا يقنع بالنقل بل يغوص بحكم نزعته الصوفية إلى بواطن الأمور وإلى ماكان مايسميه بالأصول ، وهكذا انفرد بطائفة غير قليلة من الآراء التي لم يسبقه أحدإليهاسواءفي الأمورالدينية والفلسفية وحتى اللغوية العربية.

خالف في آرائه الكثير من المستشرقين من معاصريه ومن قبلهم ، بإيمانه بأصالة الحضارة الاسلامية وأنها صنع مبادىء الاسلام وتعاليمه وأنه ساهم بوضع ركائزها مختلف الشعوب التي اهتدت بهدي الاسلام مع اقراره بسريان بعض التيارات العقائدية من هؤلاء إليها ، إلا أنها لم تقبل هذه على علاتها بل طبعتها الحضارة الاسلامية بطابع الدين الحنيف حتى أصبحت جزءاً منها . وهكذا أخذت هذه من غيرها بعض الشيء وأقل مما أخذ الغير عنها ، وهي في رأيه حضارة إنسانية بعيدة عن التعصب ، تقدر الانسان بانسانيته وتدعو إلى الإخاء والمحبة وتعتمد على اليقين والإيمان .

وكان له من سعة اطلاعه بما لايكاد يجارى به ، فالناظر فيما نشر مؤخراً من (محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية)[٢٥] يرى فيها عملاً موسوعياً منقطع النظير ويستبعد أن يقدم على صنعه امرؤ في ريعان الشباب (٢٩ سنة) وقبل سبعة عقود ونيف ، اذ لم يقتصر فيه على الاصطلاحات الفلسفية العربية (كما يفهم من عنوانه) قديمها وحديثها وما يقابلها باللغتين الفرنسية والانكليزية ، بل تجاوزها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى مصطلحات أخرى ، منها مايمت إليها بصلة (كالمنطق والأخلاق واللاهوت والسياسة والتاريخ من العلوم الانسانية) إلى جانب الكيمياء وعلم الحيوان والرياضيات والتشريح والفزيولوجيا حتى الفلك والموسيقى مع إيضاح وافٍ لكل مصطلح منها .

طُرح على بساط البحث سنة ١٩٤٤ في المؤتمر السنوي العاشر لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بعد أن أحال إليه مجلس المجمع مشروعين اثنين يرميان إلى (تيسير الكتابة العربية لكي لايتعرَّض قارئها إلى اللحن والخطأ) يقوم أحدهما على إضافةٍ زائدة تلحق بالحرف العربي ، للدلالة على الضبط والشكل ، ويقوم الثاني على إحلال الحرف اللاتيني محلَّ العربي ، شأن ماصنعته تركية قبل عقدين من الزمن .

لم يلق المشروعان كلاهما التأييد من قبل المؤتمرين بالرغم من البحوث العميقة والبراهين الموردة بشأنها ، وكان في مقدمة المستنكرين لهما ممثلا سورية الأستاذ محمد كرد علي والشيخ عبد القادر المغربي رحمهما الله ، لما في الأول من تشويهٍ للحرف العربي الجميل ، ولما ينجم عن المشروع الثاني من قطعِ الصلة بين حاضر الأمة العربية والإسلامية وبين ماضيها المجيد وكأنه بمثابة هدمٍ باليد لمجد العرب والمسلمين .

لم يشهد لويس ماسنيون هذا المؤتمر ، إلاَّ أنه كان في بادىء الأمر من أنصار الاعتماد على الحرف اللاتيني في الكتابة العربية ، ثم عدل عنه بآخرة مقدّراً الضرر المتوقع منه ، كما أنه استنكر تبديل صورة الحرف العربي الجميلة التي تطورت إليها الحروف العربية على كرّ الأيام والسنين ومن قبل شعوبٍ إسلاميةٍ شتى. وحريٌّ بهذه الحروف أن تبقى مثلاً حياً للتراث العربي الإسلامي ، ناهيك بما لها من شأنٍ في الفن التشكيلي الإسلامي ونقوشه .

(للبحث صلة)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحواشـــي

(١) ـ وهو مـااصطلح عليـه المرحـوم محمـد كرد علي ، وأرى اللفـظ مفضـلاً على سـواه لشموله شتى النواحي من شؤون بلاد الشرق .

(٢) ـ لم يكن شائعاً آنذاك تسجيل مايلقى من محـاضرات . وأمكن في السنـة المـاضيـة طباعة ٤٠ محاضرة ألقاها ماسنيون سنـة ١٩١٢ ـ ١٩١٣ في الجـامعـة المصريـة القـديمـة نقلاً عمـا احتفظ بها أحد تلاميذه ، وسيأتي ذكرها فيما بعد .

(٣) ـ (Collège de France) إحدى مؤسسات التعليم العالي في العاصمة الفرنسيـة ، وتعـد من أقدم مراكز التعليم في فرنسة ، يعود تـأسيسهـا إلى عهـد الملـك فرنسوا (سنـة ١٥٢٠) لـذا عرفت أولاً بكوليج الملك ثم بـالكوليج الملكي ، اقتصر التعليم فيهـا في بـادىء الأمر على اللغتين اللاتينيـة واليونـانيـة ، تبـدل اسمهـا الى كوليج امبراطوري في عهـد الإمبراطوريـة ثم الكوليج الوطني ، واستقر أخيراً على اسمها الحالي في القرن الماضي .

تتبع المؤسسة نظاماً فريداً من نوعه ، لاصلة لها بأية جامعة ، أبوابها مفتوحـة لكل قـاصـد من طلاب الدراسة العليا ، يروم الاستزادة في دراسة إحدى النواحي الاختصاصية العلمية والتعمق فيها . لاقيد في الانتسـاب إليهـا ولا شرط ، ولا يتطلب أداء أي رسم ، كما أن المؤسسـة لاتمنح أية درجة علمية ، وهي مرتبطة إدارياً بوزارة التربية الوطنية .

أما مهمتها ، ففي الاسهام اسهاماً عملياً في تقدم العلوم وجميع ضروب المعرفة ، ففيهـا تجرى البحوث والتجارب إعداداً للباحث على نوال إحدى الدرجات العلمية الرفيعة والشهادات العالية . عدد كراسي التدريس فيها ٥٠ ، يشرف على إدارتها مجلس أساتيـذهـا ويكون التعيين لكرسي التـدريس الشـاغر ، بمرسوم جمهوري مبني على ترشيح مجلس الاسـاتـذة ومعهـد فرنسـة (Institut de France) معاً .

والمؤسسة الأخيرة تعرف بالمؤسسة (institut) فقط وتضم المجامع الفرنسية الخمسة .

(٤) ـ وهو رحّالة عربي مسلم ، اسمه الأصلي الحسن بن محمد الوزان الزياتي أو الفاسي ، كما انه عرف بعد ذلك بيوحنا الأسد الغرناطي ، بقي ماكتبـه عن بلاد الاسلام المرجع الوحيـد في العالم ٤٠٠ سنة ، ولد في الاندلس (غرناطـة سنـة ٨٩١ هـ ١٤٨٥ وقيل ٩٠١ هـ ـ ١٤٩٥ م) درس وترعرع في مدينة فاس (المغرب ولـذا اشتهر بـالفـاسي أيضـاً) ، سـافر وهو في ريعـان الشباب إلى عدة بلدان افريقية وآسيوية بمهمات بعضها تجـاري وبعضهـا الآخر سيـاسي .وهكـذا فقـد رحل إلى شمال افريقيـة وإلى جنوب المغرب ووادي نهر النيجر ووادي النيل حتى أسوان ، وحج إلى بيت الله الحرام وحط عصا الترحال في استانبول إلا أنه بعد مغـادرتـه ايـاهـا وقع في أسر قراصنـة مسيحيين وهو في عرض بحر الروم (البحر الأبيض المتوسـط) استعبـدوه وأرسلوه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى نابولي (٩٢٦ هـ ١٥٢٠ م) ثم إلى رومية ، ورأوا فيه من الثقافة والنجابة ماهو حرى بها ان يهدى إلى الحبر الاعظم في رومية.(البابا ليون العاشر) فعاش في كنفه زهاء عام ثم اعتقه بعد أن اقنعه بالتنصر ، تظاهر له الحسن بن محمد بالقبول ، فعمّد باسم يوحنا الأسد (Leone Geovani أو John Leo) ونال هذا المرتد عن دينه (ظاهراً) حظوة وذاع صيته في الأوساط العلمية والثقافية في عاصمة الكثلكة فكلف بتدريس اللغة العربية كما أنه تعلم اللاتينية والايطالية .

وللحسن بن محمد عدة مصنفات : منها المعجم العربي العبري اللاتيني (٩٣٠ هـ ٩٥٤ م) (من مخطوطات مكتبة اسكوريال ٥٩٨) ووصف افريقية (ترجمه المؤلف إلى الايطالية وترجم مؤخراً إلى الفرنسية سنة ١٨٩٦) وله رسالة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمدينة فاس ونبذة عن شؤون الاسلام ، ولعل الرسالة الاخيرة هي التي كانت موضوع دراسة ماسنيون وبنى عليها مؤلفه المشار إليه . وكان مسك الختام له بأن استقر في تونس وشهر اسلامه ، وفيها توفي سنة (١٠٠٧ هـ ١٦٠٠ م) .

(٥) ـ (Maréchal Lyautey) من اساطين الاستعمار الفرنسي وعباقرته كما يدعونه ، قاتل من أجل دعم ركائز الاستعمار واحتلال البلاد في الجزائر والهند الصينية ومدغشقر ومراكش . ولعله أول من طبق بنجاح مبدأ فرّق تسد في مدغشقر عندما اطفأ جذوة نار الانتفاضة الشعبية بتقسيمه الجزيرة إلى عدة مقاطعات منفصل بعضها عن بعض تماماً ، وهذه هي الطريقة ذاتها التي سلكتها فرنسة في بدء الانتداب إذ قسمت سورية إلى أربع دويلات .

شغل ليوتي منصب المقيم العام (Resident Général) بعد ماأعلنت فرنسة حمايتها على مراكش وبقي الآمر المطلق فيها زهاء ١٣ سنة .

وفي الصفحة ٩٣ من المجلد الثاني من مجلة مجمعنا صورة رسالة بعث بها المارشال ليوتي إلى الأستاذ محمد كرد علي مثنياً فيها على عمل المجمع ومهدياً إلى مكتبته بعض الكتب التي تعنى بشؤون مراكش .

(٦) ـ لناسك الصحراء هذا قصة يحسن التنويه بها : فهو الأب شارل دوفوكول (Le Père Charles de Foucauld) ولد في ستراسبورغ سنة ١٩٥٣ ، انخرط في بادىء الأمر في خيالة الجيش الفرنسي قاتل في الجزائر سنة ١٨٣١ ثم استقال من الجيش وأقام في مدينة الجزائر حتى ١٨٨٣ ، وتعلم خلال هذا المدة اللغتين العربية والعبرية وغادر الجزائر متجهاً إلى المغرب بعد أن تزيّا بزي رجل يهودي عادي ، تجول في أنحاء البلاد من أقصاها إلى أقصاها مستطلعاً شؤون أهلها ومرافق البلاد وتضاريسها مدوناً بكل دقة حال السكان وغير ذلك من الأمور التي لم يكن يعرف عنها إذ ذاك شيء في ديار الغرب ، وألف كتاباً باسم استطلاع مراكش (Reconnaissence du Maroc) طبع سنة ١٨٨٨ في باريز وأصبح مرجعاً رئيسياً لكل مايتعلق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بهذا البلد الاسلامي المجهول أمره تماماً ، مما نبه الانظار إليه وكان الباعث الأول الداعي إلى استعماره ، وقد كوفىء المؤلف بوسام رفيع .

وبعد أن كان ملحداً أو بحكم الملحد اهتدى إلى الكثلكة على يد أحد القساوسة ، فسافر إلى فلسطين بعد أن ارتدى الزي الكهنوتي قابعاً في احد الأديرة ثم قفل هذا القسيس راجعاً إلى الجزائر ، وانزوى في إحدى قرى الصحراء المركزية آخذاً على عاتقه التبشير وداعياً إلى تنصير المسلمين من عرب وبربر ، قتل في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٦ من قبل الثوار .

له عدة مصنفات نشرت في جامعة الجزائر وهو المؤسس لاخوة قلب اليسوع وإخواته في باريز ويعد في طليعة المبشرين الفرنسيين .

(٧) ـ وهو المعروف بـ (Ignaz Goldziher) ويكتب بالعربية (إجناس كولد تصهير كما جاء في رسالة نشرتها مجلة الزهراء م ١ ص ٣٢٣ مرسلة إلى الشيخ طاهر الجزائري في دمشق ٣١٧ هـ ومنهم من يرسم اسمه ياغناس غولد صهر أو غولد تسيهر) ، مستعرب مجري زار دمشق سنة ١٢٩٠ / هـ (١٨٧٣ م) وتعرف على الشيخ طاهر الجزائري وتعدد التراسل بينهما . درس في الأزهر (١٨٧٣ ـ ١٨٧٤) وكان يرتدي رداء طلاب الأزهر . وهو الذي رآه أحمد زكي باشا وهو يدرس طلابه تفسير القرآن الكريم في بودابست ، فقال يهودي يدرس المسيحيين الديانة الاسلامية .

(٨) ـ وهي المعروفة بالمدرسة الخاصة باللغات الشرقية الحية (Ecole spéciale des langues orientales) تأسست في باريز سنة ١٨٦٩ مدة الدراسة فيها ٣ سنوات .

(٩) ـ ويعرف بـ (Institut Français d´ Archéoecogie Orientale du Caire) تأسس في القاهرة سنة ١٨٩٧ من قبل البعثة الفرنسية للآثار التي بدأت عملها سنة ١٨٨٠ للتنقيب عن الآثار المصرية .

(١٠) ـ آل الالوسي من الأسر الشهيرة وذات الوجاهة في العراق ، فالسيد محمود شكري بن عبد الله الآلوسي عالم ديني جليل ومؤرخ وأديب كبير ، كان من دعاة الاصلاح إبان الحكم العثماني ، ناله بعض الاضطهاد في عهد السلطان عبد الحميد الثاني إثر وشاية من حاسديه ، فقبع في داره منصرفاً للتدريس طوال الحكم البريطاني في العراق ، له عدة مصنفات ، منها بلوغ الأرب في أحوال العرب بثلاثة أجزاء وأخبار بغداد وما جاورها في أربعة أجزاء وغيرها (و : ١٢٧٢ هـ ١٨٥٧ م ت : ١٣٤٢ هـ ـ ة ١٩٢٤ م) .

أما السيد علي الآلوسي فهو ابن عم السيد محمود شكري من مشاهير القضاة انتخب نائباً عن بغداد (مجلس المبعوثان) في العهد العثماني (و : ١٢٧٧ هـ ١٨٦١ م ت : ١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢١ م)

وتأثير الآلوسيين في لويس ماسنيون كان كبيراً إذ تلقى عنهما حقيقة الاسلام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واتجه إثر ذلك نحو البحث في النواحي الروحية والروحانيات وما إليها .

وان المطلع على بعض رسائله التي ارسلها إلى السيد محمود شكري الآلوسي لايشك بأنه أصبح يدعى الاسلام اعتقاداً وعملاً . وفيما يلي ماجاء في خاتمة إحدى هذه الرسائل التي اطلعت عليها في كتاب (المستشرقون وترجمة القرآن) للدكتور محمد صالح البنداق : تمسكت منذ سنين بتقوى الله واداء فرائضه ؟ وبورع وحلاله وحرامه ونويت الاخلاص لله تعالى في جميع أعمالي وقت القيامة فة راجياً من غفرانه الواسع كل عفو ورحمة .

هذا فتقبلوا أخلص احترامي وأطيب سلامي وأشد دعائي عند خالقنا السميع البصير وهو على كل شيء قدير . **من الفقير إليه سبحانه**

يوم الأربعاء ٢٥ تموز ١٩٢٣ يوم عرفات ١٣٤١ عبده محمد ماسنيون

(١١) ـ وهو الحسين بن منصور صوفي متفلسف فارسي الأصلي ، نشأ في مدينة واسط في العراق وانتقل إلى البصرة واستقر في بغداد ، كان غريب الأطوار يظهر بمظهر متصوفة زمانه في تقشفه باللباس والمأكل وفي خَلْط الكلام (وهو مايسمونه الشَطْح) وفي اقباله على بعض الأشياء ثم الانصراف إلى نقيضها . ذهب في زعمه إلى وحدة الوجود وإلى حلول الإلهية فيه ، موقظاً الفتنة بين أتباعه وبين منكري ماادعاه ، فكثرت الوشايات بشأنه إلى المقتدر الخليفة العباسي . فأمر بالقبض عليه وبسجنه وتعذيبه ثم حوكم ، وحُكم عليه بالموت فقتل سنة ٣٠٩ هـ ٩٢٢ م .

لم تتفق الكلمة بشأن الحلاج في عصره ولا فيما تلاه من عصور . فمنهم من اعتبره زنديقاً كافراً ومنهم من عدّه من أولياء الله الصالحين وهو ماذهب إليه لويس ماسنيون .

وفي رسالة إلى الأستاذ جمال الدين القاسمي بدمشق وبتاريخ ٨ آذار ١٩١٢ يعدد ماسنيون أسماء علماء المسلمين الذين كانوا في جانب الحلاج ومن كان ضده ، جاء فيها مايلي : (نقلا عن كتاب الشيخ جمال الدين القاسمي تأليف ظافر القاسمي)

إلى حضرة العالم العلامة عين من أعيان (كذا) علماء الشام الشيخ جمال الدين القاسمي الأفخم .

عليكم سلام الله تعالى ورحمته وبركاته .

أما بعد فقد جاءنا من بغداد كتاب إجازة لارسالنا هذا الكتاب الآتي إلى حضرتكم الاجازة من استاذنا المحترم السيد محمود شكري الآلوسي ، هو صاحب كفالتنا وأبو عذر مراسلتنا ، بتحضيره لكم سعايات (كذا) الفقير في تأريخ الاسلام .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولذلك رتبت في فكري أن أكتب إليكم كتاباً استشاراً (كذا) استفتاء مستشهداً في بعض مباحثنا الحلاجية .

لما أردت أن أجمع أولاً الفتاوى المستفتى من علماء الاسلام في قضيته وحكمه باجماع الأمة وقد رتبتها في ثلاث طبقات :قبول (أي اعتذار أو ترحُّم) توقف . رد (أي تكفير)

وهنا أسامي العلماء الذين قبلوه بفتوى : الباقلاني (المالكي) ـ ابن عقيل (الحنبلي ـ وتاب عن ذلك) ـ الغزالي (الشافعي) ـ يوسف الهمذاني (الشافعي) ابن عربي (الظاهري) ـ عز الدين المقدسي (الشافعي) ـ الشعراني ـ عبد الرحيم (الحنفي) ـ النابلسي (الحنفي) ـ

وهنا اسامي العلماء الذين توقفهم مشهور : ابن سريج (الشافعي) ـ ابن بهلول (الحنفي) ـ القشيري (الشافعي) ـ الكيلاني (الحنبلي) ـ عيسى الرهوي الجعفري (الشافعي) ـ ابن حجر العسقلاني (الشافعي) ـ ابن حجر الهيثمي السويدي (الحنفي) .

وهنا أسامي العلماء الذين نسبوه إلى الكفر : الجُبّائي (الحنفي) ـ ابن داود (الظاهري) ـ ابن شيبان (الشافعي) . أبو عمر الأزدى (المالكي) ـ ابن حزم (الظاهري) ـ الجويني (الشافعي) ـ أبو بكر الخطيب (الحنبلي) ـ أبو جعفر (الحنبلي) ـ عيّاض السبتي (المالكي) ـ ابن الجوزي (الحنبلي) ـ أبو حيّان (الظاهري) ابن تيمية ـ الذهبي (الشافعي) ـ ابن خلدون (المالكي) ـ العكرّي (الحنبلي) .

ولما كنت رتبتها استبحثت حلائلها بالتدقيق ، وما وجدت أحد (كذا) أقوى وأشد السطوة على الحلاج بالبراهين العقلية والنقلية من شيخ الاسلام ابن تيمية ، ولذلك اقتبست من جواباته في الحلاج متون (كذا) كثيرة منها :

١ ـ كتاب إلى المنجي (بحث في الكلمة« أنا الحق »)
٢ ـ فتوى رد فيها على ترحم الحلاج (قدر صحيفتين وطبع في جلاء العينين ص ٥٣)
٣ ـ شرح العقيدة الاصفهانية الواسطة (جملتين على سحر الحلاج)
٤ ـ كتاب مايقول السادة العلماء (رضع) ـ أي رضي الله عنهم ـ في الحلاج الحسين بن منصور هل كان صديقاً أو زنديقاً ... الخ (قدره ستة عشر صحيفة (كذا) مذكور فيها حالات شيطانية)
٥ ـ سؤال إلى شيخ الاسلام ... في كراس وحد وهو مجموع حكم من مذهب الحريرية (الدمشقية) وفيه استشهاد بأبيات للحلاج ـ ورد عليها شيخ الاسلام بالتدقيق (قدره مئة صفحة)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما للنمروين (كذا) ٤ و ٥ فاستنسخها باسعاد السيد محمد صادق المالح الدمشقي النسّاخ عند كتبخانة (كذا) الظاهرية ، وجدها في جزء من أجزاء « الكواكب الدرية »

ولكن لعلنا ماوقعنا إلى اليوم على أدق تأليف ألف شيخ الاسلام ابن تيمية في المسألة الحلاجية ، لاننا سمعنا أخيراً أن أستاذنا العالم السيد محمود شكري الآلوسي أن لابن تيمية كتاب خاص (كذا) رد فيه رداً منفصلاً على الحلاج ، وأن (كذا) يوجد منه نسخة محفوظة إلى الآن في كتبخانة من كتبخانات (كذا) دمشق وهي « دار الحديث » ـ وأظنها (تلك الدار الحديث) هي المدرسة الأشرفية المعروفة بدار الحديث النووية ، التي درسوا (كذا) فيها أبو شامة والنووى والسبكي ، وقد جددها في سنة ١٢٧٤ الأمير عبد القادر الجزائري (ارجع إلى« تحفة الزائر » لابنه عبد المالك ج ٢ ص ٧٥ ـ ٨١) .

ونلتمس من لطفكم أن تخبرونا عن هذه النسخة المحفوظة عند « الدار الحديث النووية » أي : هي مطوّلة أو مقصّرة (لعلها المتن الذي قد سبق ذكره تحت النمرو (كذا) (٤) في هذا الجواب) وأن تفيدونا من علمكم المختبرة (كذا) لحكم الحلاج ، أي هو على اجماع الأمة الاسلامية .

هذا مع تقديم الاحترام والسلام إلى حضرتكم وآلكم وما يعزكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في ٨ آذار سنة ١٩١٢ الفقير إليه سبحانه

ملاحظة : نشرنا الرسالة على علاتها (توقيع) : Louis Massignon

وفيها مافيها من أخطاء وركاكة (ح. س.) . (ختم) : عبده لويز ماسنيون

(١٢) وهو ما يطلق على جامعة باريز ، واسم أولى كلياتها (كلية اللاهوت) التي انشئت سنة نسبة إلى الراهب صربون

(١٣) ـ الشيخ طاهر بن محمد صالح السمعوني الجزائري ثم الدمشقي ولد في دمشق سنة ١٢٦٨ هـ ١٨٥٢ م وتوفي في دمشق ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م مفكر اسلامي وعالم وبحاثة ومن دعاة الاصلاح ، إليه يعود الفضل في جمع ماتفرق من المخطوطات في جوامع دمشق ومدارسها وانشاء دار الكتب الظاهرية وكان من أزهد الناس في شؤون الدنيا ومظاهر الأبهة .

اتصل به لويس ماسنيون عند مروره بدمشق وربما التقى به في القاهرة أيضاً كما ان المستشرق اغناس غولد صهر كان ذا صلة به . وهو من الأعضاء المؤسسين للمجمع العلمي العربي .

(١٤) ـ الشيخ جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق ولد في دمشق سنة ١٢٨٣ هـ ١٨٦٦ م وتوفي فيها سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤) من كبار السلفيين ومن دعاة الاصلاح له مؤلفات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كثيرة من أشهرها تفسير القرآن الكريم (محاسن التأويل) في ١٢ مجلداً ، وفي اثناء زيارة لويس ماسنيون لدمشق اطلعه الشيخ على مخطوطة كتاب (قاموس الصناعات الشامية لوالده الشيخ محمد سعيد القاسمي، في جزءين (طبع هذا القاموس قبل سنوات) نسخ ماسنيون بخطه صفحة تشرح معنى (حلاج) وقد نشرت هذه الصفحة في كتيب طبعته اليونسكو عن حياة ماسنيون وجاء في أسفل الصفحة : من جملة كتب ابنه المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي بدمشق .

(١٥) ـ وهي الجامعة الأهلية (غير الأميرية) ، تأسست في القاهرة سنة ١٩٠٨ ينفق عليها كرام أثرياء القطر ويرعاها الأمير فؤاد (الملك فؤاد الأول فيما بعد) اقتصرت في الدروس في بادىء الأمر على مايماثل كلية الآداب ، استوفدت للتدريس فيها بعض المستشرقين بينهم لويس ماسنيون .

ومما هو جدير بالملاحظة ان ماسنيون ألقى محاضراته الأربعين بالعربية الفصحى وهو دون الثلاثين من العمر . بين تلاميذه آنذاك طه حسين ومنصور فهمي وعلي العناني وأحمد ضيف ممن أصبحوا في عداد رواد النهضة الفكرية المصرية .

اتيح لأحد تلاميذ لويس ماسنيون أن يدوّن ماأملاه الأستاذ المحاضر ، وصورت نسخته الأصلية واحتفظ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة بصورة عنها ، وأتيح لماسنيون أن يراجعها ضابطاً المصطلح في اللغات الأجنبية المختلفة كما عُني بذكر المراجع الناقصة وبالتعريف بالاعلام في هوامشها . نشرت هذه المحاضرات من قبل المعهد العلمي الفرنسي المذكور في السنة الفائتة بتحقيق الدكتورة زينب محمود الخضيري وبتصدير بقلم الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على مولد ماسنيون .

عرفت هذه المحاضرات في بادىء الأمر بـ (محاضرات في تاريخ المذاهب الفلسفية بالجامعة المصرية) واختار لها ماسنيون بعد ذلك اسمها الجديد (محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية) وكانت خطة ماسنيون في سردها هي ذكر المصطلح العربي ـ في حال وجوده ، ثم تطور معانيه لدى مختلف المذاهب الفلسفية الإسلامية ، ومن بعد الرجوع إلى الأصل اليوناني واتباع المنهج نفسه فيه،مع الحرص على ذكر المقابل الفرنسي والانكليزي وأحياناً الألماني واللاتيني . ويعمد ماسنيون إلى ترجمة المصطلح إلى العربية متى كان مستحدثاً .

وأُلحق بالمحاضرات ملحق مستمد من صورة أخرى للمخطوطة اطلعتْ عليها المحققة الفاضلة ، بعد أن تمت طباعة جزء غير قليل من المتن فاستدركت إثباته بعده وفي هذا الملحق بعض التصحيحات بخط يد ماسنيون .

(١٦) ـ هذه الجملة بين هلالين منقولة عن كلمة ترجم بها الأستاذ محمد كرد علي ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ماسنيون عندما زار دمشق سنة ١٩٢٠ .

(١٧) ـ لم يعرف كنه هذه المهمة ولا مراميها ، ولعلها ذات صلة بنشوب الثورة العربية الكبرى في الحجاز وما دار بشأنها من مفاوضات بين الشريف حسين وممثل انكلترة في مصر .

(١٨) ـ (Haut Commissaire Français en Syrie et en Cilicie) كيليكية مقاطعة تركية في جنوب الأناضول من آسية الصغرى تحدها سورية في الجنوب ، شغلها الفرنسيون من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢١ .

(١٩) ـ (Georges Picot) أحد طرفي الاتفاق المعروف باتفاق سايكس بيكو والذي تم سنة ١٩١٦ وبه قسمت أراضي الدولة العثمانية بمشاركة من روسية القيصرية . فكان نصيب انكلترة العراق وفلسطين ونصيب فرنسة سورية ولبنان والموصل . أحيط هذا الاتفاق آنئذ بالكتمان الشديد ولم يذع سره إلا بعد اندلاع الثورة البلشفيكية سنة ١٩١٧ فكان له وقع سيء في البلاد العربية التي وعدها الحلفاء بالاستقلال التام .

(٢٠) ـ (E . H . H . Allenby) مارشال انكليزي قاد الحملة العسكرية التي انطلقت من مصر إبان الحرب العالمية الأولى استولى على فلسطين ، ونقل عنه قوله عندما دخل بيت المقدس : هذه آخر الحروب الصليبية . وقد عناه أمير الشعراء بقوله :

يافاتح القدس خل السيف ناحية ليس الصليب حديداً كان بل خشبا

أما لورنس (T . E .Lawrence) فيكاد يكون صنو ماسنيون من عدة وجوه : فقد نشأ منقباً عن الآثار في فلسطين وسورية ، سنة ١٩٠٩ والتحق بالجيش البريطاني (١٩١٤ ـ ١٩١٩) اشترك اشتراكاً فعلياً وتنظيمياً في الثورة العربية الكبرى ، وكان الترجمان بين الأمير فيصل والجانب الانكليزي في مفاوضات لندن بعد الحرب العالمية الأولى ويقال تصرف في الترجمة بما تمليه عليه مصلحة بلاده ، إنه ندم أخيراً على ماسلف منه بعض الندم

(٢١) ـ فيصل بن الحسين بن علي شريف مكة قبل الثورة العربية الكبرى ، ولد في الطائف (١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م) تولى قيادة الجيش العربي الشمالي في الثورة المذكورة . ثم أصبح قائداً عاماً للجيش العربي في الشام ، دخل دمشق على رأس الخيالة سنة ١٩١٨ . ومثل والده (ملك الحجاز آنئذ) في مؤتمر الصلح في باريز سنة ١٩٢٠ ، نادى به المجلس الوطني السوري ملكاً على سورية (٨ آذار ١٩٢٠) غادر دمشق بعد معركة ميسلون (٢٤ تموز ١٩٢٠) واعتلى عرش العراق سنة ١٩٢١ ، توفي في سويسرة (١٩٣٣) .

(٢٢) ـ هذا مانقلته نشرة اليونسكو في ترجمة لويس ماسنيون ، وجاء فيها خطأ (الملك فيصل) مع انه لم يعتل عرش الا في ٨ / ٣ / ١٩٢٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٢٣) ـ نشر الأب مبارك فهرساً لمنوعات لويس ماسنيون (Mélanges Louis Massignon) ذاكراً فيه مانشره هذا المستعرب سنة بعد سنة بدءاً من ١٩٠٦ وحتى ١٩٥٥ . ويلاحظ فيه انقطاع النشر بعد ١٩١٤ ليعاوده سنة ١٩٢٠ و الفهرس من مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق .

(٢٤) ـ وهو الاسم الذي عرف به مجمع اللغة العربية الحالي في القاهرة عند تأسيسه . ثم سمي مجمع فؤاد الأول للغة العربية . نص مرسوم تأسيسه سنة ١٩٣٢ على أن عدد أعضائه ٢٠ نصفهم (١٠) من المصريين والنصف الآخر (٥) من الأقطار العربية و (٥) من الأجانب وكان ماسنيون أحدهم .

(٢٥) ـ وهي أخر ماطبع من آثار ماسنيون (١٩٨٣) نشرها المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة سبقت الاشارة إليها (الصفحة ٤٤٩)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net